كَيْفَ نُدِيرُ إِنْفَاقَنَا بِوَعْيٍ؟

اقتصاد المعيشـــــة (8)

أين يذهب المال؟ سؤالٌ قد يبدو بسيطًا، لكنه يُربك كثيرًا من الناس حين يقترب الشهر من نهايته، ويكتشفون أن دخلهم قد تراجع، وأن ما تبقّى منه لا يكاد يكفي احتياجاتهم، مع أنهم لم يشتروا شيئًا استثنائيًّا، ولم يشعروا بأنهم أنفقوا كثيرًا. فكيف تتسرّب الأموال دون أن ننتبه؟ ولماذا لا يضمن الدخل الجيد، وحده، حياةً مستقرة؟

قد لا تكون المشكلة فيما نكسبه، بل فيما نفعله بما نكسب. فمبلغٌ صغير يتكرر بلا انتباه قد يصبح عبئًا كبيرًا، ورغبةٌ عابرة قد تتقدم على حاجة ضرورية، وغياب التخطيط قد يجعل الإنسان ينفق اليوم ما يحتاج إليه غدًا. وهكذا لا يعود السؤال المهم: كم نملك؟ بل: هل نعرف كيف ندير ما نملك؟

إن إدارة المال بوعي ليست حرمانًا من متع الحياة، ولا انشغالًا دائمًا بالحسابات؛ إنها القدرة على الموازنة بين حاجات الحاضر ومتطلبات المستقبل، وبين الاستمتاع بالنعم وأداء الحقوق.

فمن أين نبدأ؟ وكيف نحوّل الاعتدال من مبدأ نؤمن به إلى ممارسة يومية تصنع فرقًا حقيقيًّا في حياتنا؟

وقد رسم القرآن الكريم مبدأً جامعًا في إدارة الإنفاق، فقال تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: 67

فالوعي المالي لا يعني أن ننفق أقل ما نستطيع دائمًا، بل أن نضع كل نفقة في موضعها، فلا نتجاوز حدود الحاجة، ولا نقصّر في حقٍّ أو ضرورة.

أولًا: اعرف أين يذهب مالك

لا يمكن إدارة ما لا نعرفه. لذلك ابدأ بتسجيل دخلك الشهري ونفقاتك، من السكن والغذاء والمرافق والنقل إلى الديون والمشتريات الشخصية والاشتراكات المتكررة. ولا تحتاج إلى برنامج معقد؛ يكفي دفتر أو جدول بسيط يُحدَّث بانتظام.

قد تكتشف أن المشكلة ليست في نفقة كبيرة واحدة، بل في مبالغ صغيرة تتكرر حتى تستهلك جزءًا مهمًا من دخلك. والغاية من التسجيل ليست لوم النفس، بل تكوين صورة واضحة تساعدك على اتخاذ قرارات أفضل.

ثانيًا: رتّب أولوياتك قبل الإنفاق

قدّم الحاجات الأساسية والحقوق والالتزامات المستحقة، ثم خصّص ما تستطيع للأهداف المهمة، واجعل الكماليات في حدود إمكاناتك. فالخلل لا يكمن في الترفيه أو شراء الأشياء الجميلة بذاتهما، بل في تقديمهما على حاجة ضرورية أو التزام واجب.

وقبل أي شراء، اسأل نفسك: هل أحتاج إلى هذا الشيء فعلًا؟ وهل توقيت شرائه مناسب؟ وهل سيؤثر في نفقة أكثر أهمية؟ إن هذه الأسئلة البسيطة تمنح العقل فرصةً لمراجعة القرار قبل أن تتحول الرغبة العابرة إلى عبء مالي.

ثالثًا: ضع ميزانية واقعية

الميزانية خطة لتوزيع الدخل، وليست قيودًا جامدة. خصّص مبالغ للحاجات الأساسية، والالتزامات والديون، والنفقات المتغيرة، ثم للطوارئ والادخار والترفيه بحسب قدرتك الفعلية.

وللتوضيح، لنفترض أن دخل أسرة يبلغ 8,000 ريال شهريًا، وأن احتياجاتها تسمح بالتوزيع الآتي:

بند الإنفاق المبلغ

1 الســـكن والمرافق 2400

2 الغـذاء والاحتياجات المنزلية 1600

3 النقل والاتصالات 800

4 التعليم والصـــحة 1200

5 ســـــداد الديـــون 800

6 الطـــوارئ والادخار 500

7 الترفيه والمصروفات الشخصية 700

أجمـــالي الدخـــل المـــوزع 8000

ملاحظة: الأرقام افتراضية للتوضيح، ويختلف التوزيع المناسب باختلاف دخل الأسرة واحتياجاتها والتزاماتها المالية.

هذا نموذج توضيحي، لا وصفة تناسب الجميع؛ فالإيجار وعدد أفراد الأسرة والديون وتكاليف العلاج تختلف من أسرة إلى أخرى. المهم أن تتناسب الخطة مع الواقع، وأن تُعدّل إذا تغيّرت الظروف. وإذا كان الدخل لا يغطي الضروريات، فلا يكفي التشدد في المصروفات، بل ينبغي مراجعة الالتزامات والبحث عن موارد أو دعم مناسب متى أمكن.

رابعًا: لا تدع المشتريات تقودك

تتسلل النفقات أحيانًا عبر الشراء بدافع الملل، أو تقليد الآخرين، أو الانجذاب إلى العروض. وقد يبدو كل مبلغ صغيرًا، لكن تكراره يستهلك المال الذي يمكن توجيهه إلى ما هو أنفع.

وهذا المعنى ينسجم مع ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

" إِنَّ الْقَصْدَ أَمْرٌ يُحِبُّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ السَّرَفَ أَمْرٌ يُبْغِضُهُ اللهُ، حَتَّى طَرْحَكَ النَّوَاةَ فَإِنَّهَا تَصْلُحُ لِلشَّيْءِ، وَحَتَّى صَبَّكَ فَضْلَ شَرَابِكَ "

فالمطلوب ليس الامتناع عن كل إنفاق، بل تجنّب ما لا حاجة إليه، وعدم الاستهانة بالنفقات الصغيرة التي تتكرر حتى تستنزف جزءًا من الدخل.

لذلك أعدّ قائمة قبل التسوق، وقارن الأسعار والجودة، وراجع الاشتراكات التي لا تستخدمها. وأجّل المشتريات غير العاجلة حتى تتأكد من حاجتك إليها وقدرتك على تحمّل تكلفتها. فالهدف ليس رفض المتعة، بل اختيار ما ينفعك بدل الاستجابة لكل رغبة.

خامسًا: تعامل مع الديون بحكمة

تراكم الديون قد يجعل جزءًا متزايدًا من الدخل مخصّصًا لالتزامات سابقة، ويضيّق قدرة الأسرة على مواجهة احتياجاتها الجديدة. ولهذا احصر ديونك، واعرف مواعيد استحقاقها وتكاليفها، وضع خطة واقعية لسدادها.

وتجنّب الاستدانة لتمويل الكماليات أو مجاراة المظاهر، ما لم توجد ضرورة معتبرة وخطة واضحة للسداد. وإذا أصبحت الدفعات تفوق قدرتك، فبادر إلى التواصل مع الجهة الدائنة لبحث الخيارات المتاحة، واطلب المشورة المتخصصة عند الحاجة. وفي جميع الأحوال، ينبغي الموازنة بين الوفاء بالالتزامات والمحافظة على الحاجات الأساسية.

سادسًا: ادّخر للمستقبل بحسب استطاعتك

قد تظهر نفقات لم تكن في الحسبان، كعلاج طارئ أو إصلاح المنزل أو تعطل مصدر الدخل. ومن دون احتياط مالي، قد تتحول هذه الظروف إلى ديون جديدة.

لذلك خصّص مبلغًا للطوارئ كلما سمحت إمكاناتك، ولو كان قليلًا في البداية، وزِده تدريجيًّا عند تحسن الظروف. ولا توجد نسبة واحدة تناسب جميع الأسر؛ فقد تحتاج الأسرة المثقلة بالديون إلى خطة تختلف عن أسرة مستقرة الدخل.

والادخار ليس غايةً تُقدَّم على حاجات الأسرة، بل وسيلة للاستعداد للمستقبل. فإذا لم تسمح الموارد به في مرحلة معينة، فالأولوية لتغطية الضروريات، ثم البحث عن فرصة مناسبة للادخار لاحقًا.

سابعًا: راجع خطتك كل شهر

في نهاية الشهر، اسأل نفسك: هل غطّينا حاجاتنا الأساسية؟ وأيّ النفقات كان يمكن تجنبه؟ وهل نحتاج إلى تعديل ميزانيتنا؟ اجعل المراجعة فرصةً للتعلّم وتصحيح المسار، لا مناسبةً للوم أفراد الأسرة.

ومن المفيد الاتفاق على هدف مالي مشترك، كسداد دين أو تكوين احتياط للطوارئ أو تغطية نفقة تعليمية. فالهدف الواضح يمنح ضبط الإنفاق معنى، ويجعل الأسرة أكثر تعاونًا في تحقيقه.

خاتمة: الوعي الذي يصنع الفرق

إن إدارة الإنفاق بوعي لا تبدأ حين يرتفع الدخل، بل حين نتعلم كيف نوجّه ما نملك. وقد لا نستطيع تغيير جميع ظروفنا، لكننا نستطيع أن نفهم واقعنا المالي، ونرتّب أولوياتنا، ونحسّن قراراتنا خطوةً بعد أخرى.

ابدأ هذا الشهر بخطوة واحدة: سجّل نفقاتك، أو راجع مشترياتك المتكررة، أو اتفق مع أسرتك على هدف مالي واضح. فالتغيير المستدام لا يحتاج دائمًا إلى قرار كبير، بل إلى اختيارات صغيرة تتكرر حتى تصبح عادة.

فليس النجاح أن ننفق أقل مبلغ ممكن، بل أن نُحسن توجيه المال فيما ينفعنا، ونؤدي به الحقوق، ونستمتع بالنعم من غير إسراف، ونستعد للمستقبل من غير تقتير. عندئذٍ يصبح المال وسيلةً لحياة أكثر استقرارًا وكرامة، لا عبئًا يستولي على قراراتنا.